المبحث السادس:بداية مرضه ﷺ وأمره لأبي بكر أن يصلي بالناس

رجع ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة، فأقام بالمدينة بقية الشهر، والمحرم، وصفراً، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، فبينما الناس على ذلك ابتدأ رسول الله ﷺ بشكواه في ليال بقين من صفر: قيل في الثاني والعشرين منه، وقيل: في التاسع والعشرين ، وقيل: بل في أول شهر ربيع الأول، وقد صلى على شهداء أحد، فدعا لهم كما تقدم، وذهب إلى أهل البقيع، وسلّم عليهم، ودعا لهم مودعاً لهم، ثم رجع مرة من البقيع، فوجد عائشة وهي تشتكي من صداع برأسها، وهي تقول: وارأساه. فقال: «**بل أنا والله يا عائشة وارأساه**»، قالت عائشة رحمها الله: ثم قال: «**وما ضرَّكِ لو متِّ قبلي، فقمت عليك وكفنتك، وصلّيت عليك، ودفنتك**» قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست ببعض نسائك، قالت: «**فتبسَّم رسول الله ﷺ**»[1]، وتتامّ به وجعه حتى استعزبه[2]، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يمرض في بيتي[3].

---

(١) ابن هشام بسند ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام، ٣٢٠/٤، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٢٢٤/٥، وفتح الباري، ٨/ ١٢٩ - ١٣٠، وأخرجه أحمد، ١٤٤/٦، و٢٢٨، وابن ماجه، والبيهقي، وقال الألباني: إن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث في رواية ابن هشام فثبت الحديث والحمد لله. أحكام الجنائز، ص ٥٠.

(٢) استعزبه: اشتد عليه، وغلبه على نفسه.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، ٣٢٠/٤، والبداية والنهاية لا بن كثير، ٢٢٣/٥ - ٢٣١، وقيل: كان =

وأول ما اشتدَّ برسول اللَّه ﷺ وجعه في بيت ميمونة رضي الله عنها، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها[1]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول اللَّه ﷺ، واشتدَّ به وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له، فخرج وهو بين رجلين تخطُّ رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر[2]، وكانت عائشة رضي الله عنها تحدث أن رسول اللَّه ﷺ لما دخل بيتي واشتدّ به وجعه، قال: «**هَرِيقوا[3] عليَّ من سبع قرب[4] لم تُحْلَلْ أوكيتهن لعلي أعهد[5] إلى الناس، فأجلسناه في مِخضَب[6] لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا[7] نصبُّ عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم**

=

ذلك في التاسع والعشرين من شهر صفر يوم الأربعاء، فبقي في مرضه ثلاثة عشر يوماً وهذا قول الأكثر. انظر: الفتح، ١٢٩/٨.

(١) صحيح مسلم، برقم ٤١٨، وانظر: فتح الباري ١٢٩/٨.

(٢) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما قال ابن عباس في آخر حديث البخاري، برقم ٦٨٧، ومسلم، برقم ٤١٨.

(٣) وفي رواية: أهريقوا: أي أريقوا وصبوا. الفتح، ٣٠٣/١.

(٤) هذا من باب التداوي؛ لأن لعدد السبع دخولاً في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقة، وفي رواية لهذا الحديث عند الطبراني: «... من آبار شتى» ٣٠٣/١ و١٤١/٨.

(٥) أعهد: أي أوصي. الفتح، ٣٠٣/١.

(٦) المخضب: هو إناء نحو المركن الذي يغسل فيه، وتغسل فيه الثياب من أي جنس كان. النووي، ٣٧٩/٤، والفتح، ٣٠١/١، و٣٠٣.

(٧) طفقنا: أي شرعنا: يقال: طفق يفعل كذا إذا شرع في فعل واستمر فيه. الفتح، ٣٠٣/٣.

خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم»[1].

وعنها ﵂ قالت: «**ثقل رسول الله ﷺ فقال**: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، قالت: ففعلنا، فاغتسل فذهب لينوءَ[2] فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» قالت: ففعلنا [**فقعد**] فاغتسل. ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس**»؟ فقلنا: لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، ففعلنا [**فقعد**] فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر؛ ليصلي بالناس، فأتاه الرسول[3] فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر – وكان رجلاً رقيقاً – يا عمر! صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك، قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري، برقم ١٩٨ وذكر هنا له ستة عشر موضعاً، وقد جمع بين هذه المواضع الألباني في مختصر البخاري، ١/١٧٠، ومسلم، برقم ٤١٨.

(٢) لينوء: أي لينهض بجهد. الفتح، ٢/١٧٤.

(٣) أي الذي أرسله إليه النبي ﷺ ليصلي بالناس.

وجد من نفسه خِفَّة فخرج بين رجلين – أحدهما العباس[1]– لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم يأتم بصلاة النبي ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد»[2]، وهذا صريح في أن هذه الصلاة هي صلاة الظهر[3]، وقد كان ﷺ حريصاً على أن يكون أبو بكر هو الإمام، وردد الأمر بذلك مراراً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل رسول اللَّه ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، فقلت: يا رسول اللَّه

---

(١) والآخر علي رضي الله عنه كما تقدم.

(٢) البخاري، برقم ٦٨٧، ومسلم، برقم ٤١٨ وقد اخترت بعض الألفاظ من البخاري، وبعضها من مسلم.

(٣) وزعم بعضهم أنها الصبح، واستدل برواية أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس: «وأخذ رسول اللَّه ﷺ القراءة من حيث بلغ أبو بكر، وهذا لفظ ابن ماجه، وإسناده حسن؛ لكن في الاستدلال به نظر؛ لاحتمال أن يكون ﷺ سمع لما قرب من أبي بكر الآية التي انتهى إليها أبو بكر خاصة، وقد كان هو يسمع الآية أحياناً في الصلاة السرية، كما في حديث أبي قتادة، ثم لو سلم لم يكن فيه دليل على أنها الصبح، بل يحتمل أن تكون المغرب، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أم الفضل قالت: «سمعت رسول اللَّه ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه اللَّه»، البخاري، برقم ٧٦٣، و٤٤٢٩، ومسلم، برقم ٤٦٢، قال ابن حجر: لكن وجدت في النسائي أن هذه الصلاة التي ذكرتها أم الفضل كانت في بيته، وقد صرح الشافعي أنه ﷺ لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة، وهي هذه التي صلى فيها قاعداً، وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً، ثم صار مأموماً، يسمع الناس التكبير. انظر: الفتح، ٢/١٧٥.

إن أبا بكر رجل أسيف[1]، وإنه متى يقم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر؟ فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقالت له: فقال رسول الله ﷺ: «**إنكنَّ لأنتنَّ صواحبُ يوسف، مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، فقالت حفصة لعائشة: [ما كنت لأصيب منك خيراً]، قالت عائشة: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خِفَّة، فقام يهادى بين رجلين، ورجلاه تخطّان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسّه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ: «**قم مكانك**»، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً، وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر»[2].

والسبب الذي جعل عائشة رضي الله عنها تراجع النبي ﷺ في إمامة أبي بكر بالصلاة هو ما بيَّنَتْه في رواية أخرى، قالت رضي الله عنها: «**لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك**، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في

---

(١) أسيف: شديد الحزن: والمراد أنه رقيق القلب إذا قرأ غلبه البكاء، فلا يقدر على القراءة. فتح، ٢/١٥٢، و١٦٥، و٢٠٣.

(٢) البخاري، برقم ٧١٣ ، ٢/٢٠٤ ومسلم، برقم ٤١٨، وقول حفصة رضي الله عنها: ما كنت لأصيب منك خيراً. البخاري، برقم ٦٧٩.

قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر»[1]؛ ولهذا قال ﷺ لها ولحفصة: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف**»[2].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وتقديمه ﷺ لأبي بكر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة، وأقرؤهم لما ثبت في الصحيح: «**يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله**..»[3] الحديث. نعم قد اجتمعت في أبي بكر هذه الصفات رضي الله عنه...»[4].

وخلاصة القول: إن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ - استحباب زيارة قبور الشهداء بأُحُدٍ، وقبور أهل البقيع، والدعاء لهم بشرط عدم شد الرحال، وعدم إحداث البدع.

---

(١) البخاري، برقم ١٩٨، و٤٤٤٥، ومسلم، برقم ٤١٨، رواية ٩٣.

(٢) البخاري، برقم ٧١٣، مسلم، برقم ٤١٨، وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم، برقم ٦٧٣.

(٤) البداية والنهاية، ٢٣٤/٥، وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يقول: «آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبي بكر» قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية، ٢٣٤/٥: «وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح»، ورجح العلامة ابن باز رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يصلِّ خلف أحد من أمته إلا عبد الرحمن بن عوف. قلت: أما الصلاة التي صلاها مع أبي بكر؛ فإنه هو الإمام، كما تقدم، والله أعلم.

٢ - جواز تغسيل الرجل زوجته، وتجهيزها، والزوجة كذلك.

٣ - جواز استئذان الرجل زوجاته أن يُمرَّض في بيت إحداهن إذا كان الانتقال يشقُّ عليه، وإذا لم يأذنَّ، فحينئذ يقرع بينهن.

٤ - جواز المرض والإغماء على الأنبياء، بخلاف الجنون؛ فإنه لا يجوز عليهم؛ لأنه نقص، والحكمة من مرض الأنبياء؛ لتكثير أجرهم، ورفع درجاتهم، وتسلية الناس بهم؛ ولئلا يفتتن الناس بهم فيعبدونهم؛ لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات، وهم مع ذلك لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله.

٥ - استحباب الغسل من الإغماء؛ لأنه ينشط ويزيل أو يخفف الحرارة.

٦ - إذا تأخر الإمام تأخراً يسيراً ينتظر، فإذا شق الانتظار صلى أعلم الحاضرين.

٧ - فضل أبي بكر، وترجيحه على جميع الصحابة ﷺ، وتنبيهه وتنبيه الناس أنه أحق بالخلافة من غيره؛ لأن الصلاة بالناس للخليفة؛ ولأن الصحابة ﷺ قالوا: «**رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا**».

٨ - إذا عرض للإمام عارض، أو شُغل بأمرٍ لا بدّ منه منعه من حضور الجماعة؛ فإنه يستخلف من يصلي بهم، ويكون أفضلهم.

٩ - فضل عمر ﷺ ؛ لأن أبا بكر وثق به، ولهذا أمره أن يصلي،

ولم يعدل إلى غيره.

١٠ - جواز الثناء والمدح في الوجه لمن أُمِنَ عليه الإعجاب والفتنة؛ لقول عمر رضي الله عنه: «أنت أحق بذلك».

١١ - دفع الفضلاء الأمور العظيمة عن أنفسهم، إذا كان هناك من يقوم بها على وجه مقبول.

١٢ - يجوز للمُسْتَخْلَفِ في الصلاة ونحوها أن يستخلف غيره من الثقات، لقول أبي بكر: «صلِّ يا عمر».

١٣ - الصلاة من أهم ما يسأل عنه.

١٤ - فضل عائشة رضي الله عنها على جميع أزواج النبي ﷺ الموجودات ذلك الوقت، وهن تسع، إحداهنّ عائشة رضي الله عنهن.

١٥ - جواز مراجعة ولي الأمر على سبيل العرض والمشاورة والاستشارة بما يظهر أنه مصلحة، لكن بعبارة لطيفة تحمل الحكمة وحسن الأسلوب.

١٦ - جواز وقوف المأموم بجنب الإمام لحاجة أو مصلحة: كإسماع المأمومين التكبير في الجم الغفير الذين لا يسمعون الصوت، أو ضيق المكان، أو علة أخرى، كصلاة المرأة بالنساء، أو المنفرد مع الإمام، أو إمام العراة.

١٧ - جواز رفع الصوت بالتكبير، فينقل المبلغ للناس صوت الإمام إذا لم يسمع الناس تكبير الإمام.

obeikandi.com

١٨ - التنبيه على الحرص على حضور الصلاة مع الجماعة، إلا عند العجز التام عن ذلك.

١٩ - الأعلم والأفضل أحق بالإمامة من العالم والفاضل.

٢٠ - إنما جعل الإمام ليؤتمَّ به، فإذا صلّى جالساً صلى الناس جلوساً، وإذا صلَّى قائماً صلوا قياماً.

٢١ - البكاء في الصلاة من خشية الله لا حرج فيه؛ لكن لا يتكلف ذلك ولا يطلبه، فإذا غلبه البكاء في الصلاة بدون اختياره فلا حرج[1].

(١) انظر: شرح النووي، ٣٧٩/٤ – ٣٨٦ ، وشرح الأبي، ٣٠١/٢- ٣٠٢، وفتح الباري، ٢/ ١٥١، و١٥٢، و١٦٤ و١٦٦، و١٧٣، و٢٠٣، و٢٠٦.

obeikandl.com

المبحث السابع: خطبته العظيمة، ووصيته للناس

خطب عليه الصلاة والسلام أصحابه في يوم الخميس قبل أن يموت بخمسة أيام خطبة عظيمة بيَّن فيها فضل الصدِّيق من سائر الصحابة، مع ما قد كان نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين، ولعل خطبته هذه كانت عوضاً أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه الصلاة والسلام بين يدي هذه الخطبة العظيمة، فصبوا عليه من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بعدد السبع كما وردت به الأحاديث[1]، والمقصود أنه ﷺ اغتسل، ثم خرج وصلى بالناس ثم خطبهم، قال جندب رضي الله عنه: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى اللَّه أن يكون لي منكم خليل[2]؛ فإن اللَّه تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا**

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٢٢٨/٥.

(٢) الخُلَّة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله؛ أي في باطنه، وهي أعلى المحبة الخالصة، والخليل: الصديق الخالص؛ وإنما قال ذلك ﷺ؛ لأن خلته كانت مقصوره على حب اللَّه تعالى، فليس فيها لغيره متسع، ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة. انظر: النهاية في غريب الحديث، ٧٢/٢، والمصباح المنير، ١٨٠/١، وشرح النووي، ١٦/٥، وشرح الأبي، ٤٢٦/٢.

تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[1]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إن الله خيَّر عبداً بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله**»، فبكى أبو بكر ﷺ وقال: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيَّرَه الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو [العبد] المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**[يا أبا بكر لا تبكِ]، إن من أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله**[2] **أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوَّةُ الإسلام، ومودته، لا يَبْقَينَّ في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر**»[3].

وخلاصة القول: إن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ - أمر النبي ﷺ بسد الأبواب إلا باب أبي بكر من جملة الإشارات التي تدل على أنه هو الخليفة.

---

(١) مسلم، برقم ٥٣٢.

(٢) معناه: أكثرهم جوداً لنا بنفسه وماله، انظر: فتح الباري، ١/٥٥٩، وشرح النووي، ١٥/١٦٠.

(٣) البخاري، برقم ٤٦٦، و٣٦٥٤، و٣٩٠٤، ومسلم، برقم ٢٣٨٢.

٢ - فضل أبي بكر ﷺ وأنه أعلم الصحابة ﷺ، ومن كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وأنه أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ.

٣ - الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وأن الرغبة في البقاء في الدنيا وقتاً من الزمن إنما هي للرغبة في رفع الدرجات في الآخرة،وذلك بالازدياد من الحسنات لرفع الدرجات.

٤ - شكر المحسن والتنويه بفضله وإحسانه والثناء عليه؛ لأن من لم يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

٥ - التحذير من اتخاذ المساجد على القبور، وإدخال القبور في المساجد، أو وضع الصور فيها، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله كائناً من كان[1].

٦ - حبّ الصحابة لرسول الله ﷺ أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين؛ ولهذا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.

(١) انظر: فتح الباري، ١/٥٥٩، و٧/١٤، ١٦، والنووي، ١٥/١٦.

المبحث الثامن: اشتداد مرضه ﷺ ووصيته في تلك الشدة

عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات[1]، وينفث، فلمّا اشتدّ وجعه [الذي توفي فيه] كنت أقرأ، [وفي رواية أنفث] عليه بهن، وأمسح بيده نفسه رجاء بركتها»، قال ابن شهاب: «**ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه**»[2]. وفي صحيح مسلم قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جَعلْتُ أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي**»[3]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: «**مرحباً بابنتي**»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم إنه سارّها فضحكت أيضاً، فقلتُ لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنتُ لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزْنٍ، فقلت حين بكت: أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه

---

(١) المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. انظر: الفتح، ١٣١/٨، و٦٢/٩.

(٢) البخاري، برقم ٤٤٣٩، و٥٠١٦، و٥٧٣٥، و٥٧٥١، ومسلم، برقم ٢١٩٢، وكان يفعل ذلك ﷺ أيضاً إذا أوى إلى فراشه «فيقرأ بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح يهما وجهه وما بلغت من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»، البخاري، برقم ٥٧٤٨.

(٣) مسلم، برقم ٢١٩٢.

دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمتُ عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما الآن فنعم: أما حين سارَّني في المرة الأولى **فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أُراني**[1] **إلا قد حضر أجلي، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك**، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: «**يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة**»؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت»[2]، وفي رواية: «**فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت**»[3].

وسبب ضحكها رضي الله عنها أنها سيدة نساء المؤمنين، وأول من يلحق به من أهله، وسبب الكباء أنه أخبرها بموته ﷺ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وروى النسائي في سبب الضحك الأمرين»[4]، أي بشارتها بأنها سيدة نساء هذه الأمة، وكونها أول من يلحق به من أهله. وقد اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها أول من مات من أهل بيت

---

(١) أي لا أظن.

(٢) البخاري، برقم ٤٤٣٣، و٤٤٣٤، ومسلم، برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٣٣، و٤٤٣٤، ومسلم، برقم ٢٤٥٠.

(٤) انظر: فتح الباري، ١٣٨/٨.

النبي ﷺ بعده، حتى من أزواجه[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيتُ أحداً أشدَّ عليه الوجع[2] من رسول الله ﷺ»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك[4]، فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «**أجلْ، إني أُوعك كما يوعك رَجُلان منكم**»، قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه [شوكة فما فوقها] إلا حطَّ الله بها سيئاته كما تحطُّ الشجرة ورقها**»[5].

وعن عائشة، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لمَّا نُزِلَ[6] برسول الله

---

(١) انظر: فتح الباري، ١٣٦/٨.

(٢) المراد بالوجع: المرض، والعرب تسمي كل مرض وجعاً. انظر: الفتح، ١١١/١٠، وشرح النووي، ٣٦٣/١٦.

(٣) البخاري، برقم ٥٦٤٦، ومسلم، برقم ٢٥٧٠.

(٤) يوعك: قيل: الحمى، وقيل: ألمها، وقيل: إرعادها الموعوك، وتحريكها إياه. الفتح، ١١١/١٠.

(٥) البخاري مع الفتح، ١١١/١٠ برقم ٥٦٤٧، و٥٦٤٨، و٥٦٦٠، و٥٦٦١، و٥٦٦٧، ومسلم، ١٩٩١/٤، برقم ٢٥٧١، واللفظ له إلا ما بين المعقوفين.

(٦) نُزِل: أي لما حضرت المنية والوفاة. انظر: شرح السنوسي على صحيح مسلم بهامش الأبي، ٤٢٥/٢، وفتح الباري، ٥٣٢/١.

ﷺ طفق[1] يطرح خميصة[2] له على وجهه، فإذا اغتم[3] كشفها عن وجهه، وهو كذلك يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يُحذِّرُ ما صنعوا[4].

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم تذاكروا عند رسول الله ﷺ في مرضه، فذكرت أمُّ سلمة، وأمُّ حبيبة كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[5].

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: فلولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يُتخذ مسجداً»[6].

---

(١) طفق: أي شرع، وجعل، انظر: شرح النووي، ١٦/٥، وشرح الأبي، ٤٢٥/٢، حاشية السنوسي، وفتح الباري، ٥٣٢/١.

(٢) خميصة: كساء له أعلام.

(٣) اغتم: تسخن بالخميصة، وأخذ بنفسه من شدة الحرارة.

(٤) البخاري مع الفتح، ١٤٠/٨، برقم ٤٤٤٣، و٤٤٤٤، ومسلم، برقم ٥٣١.

(٥) البخاري، برقم ٤٢٧، و٤٣٤، و١٣٤١، و٣٨٧٨، ومسلم، برقم ٥٢٨.

(٦) البخاري، برقم ٤٣٥، و١٣٣٠، و١٣٩٠، و٣٤٥٣، و٤٤٤١، و٤٤٤٣، ٥٨١٥، ومسلم، برقم ٥٢٩، ولفظ مسلم: «غير أنه خُشِيَ»، وعند البخاري، برقم ١٣٩٠: «غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ».

obeikandl.com

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه[(٢)]، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه[(٣)]، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه[(٤)]، فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»؟[(٥)].

وخلاصة القول: إن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ - استحباب الرقية بالقرآن، وبالأذكار، وإنما جاءت الرقية بالمعوذات؛ لأنها جامعة للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق الله عز وجل، فيدخل في ذلك

---

(١) أبو داود، ٢/ ٢١٨، برقم ٢٠٤٢٢١٨، وأحمد، ٣٦٧/٢، برقم ٨٨٠٤، وانظر: صحيح أبي داود، ٣٨٣/١.

(٢) يتغشاه: يغطيه ما اشتدّ به من مرض، فيأخذ بنفسه ويغمه.

(٣) لم ترفع صوتها رضي الله عنها بذلك، وإلا لنهاها ﷺ. انظر: الفتح، ١٤٩/٨.

(٤) ننعاه: نَعَى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.

(٥) البخاري، برقم ٤٤٦٢.

كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس[1].

٢ - عناية النبي ﷺ ببنته فاطمة، ومحبته لها؛ ولهذا قال: «**مرحباً بابنتي**»، وقد جاءت الأخبار أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل عليها فعلت ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلما مرض دخلت عليه، وأكبت عليه تقبله[2].

٣ - يؤخذ من قصة فاطمة رضي الله عنها أنه ينبغي العناية بالبنات، والعطف عليهن، والإحسان إليهن، ورحمتهن، وتربيتهن التربية الإسلامية، اقتداء بالنبي ﷺ، وأن يختار لها الزوج الصالح المناسب.

٤ - عناية الولد بالوالد كما فعلت فاطمة رضي الله عنها، فيجب على الولد أن يحسن إلى والديه، ويعتني ببرهما، ولا يعقهما، فيتعرض لعقوبة الله تعالى.

٥ - معجزة النبي ﷺ التي تدل على صدقه وأنه رسول الله ﷺ، ومن ذلك أنه أخبر أن فاطمة أول من يلحقه من أهله، فكانت أول من مات من أهله بالاتفاق.

٦ - سرور أهل الإيمان بالانتقال إلى الآخرة، وإيثارهم حب الآخرة على الدنيا لحبهم للقاء الله تعالى، ولكنهم لا يتمنون الموت

---

(١) انظر: شرح النووي، ١٤/٤٣٣، والأبي، ٧/٣٧٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ٨/١٣٥، و١٣٦.

لضر نزل بهم؛ لرغبتهم في الإكثار من الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما بين النبي عليه الصلاة والسلام.

٧ - المريض إذا قرب أجله ينبغي له أن يوصي أهله بالصبر؛ لقوله ﷺ لفاطمة: «**فاتقي الله واصبري**».

٨ - فضل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأنها سيدة نساء المؤمنين.

٩ - المرض إذا احتسب المسلم ثوابه؛ فإنه يكفر الخطايا، ويرفع الدرجات، وتزاد به الحسنات، وذلك عام في الأسقام، والأمراض ومصائب الدنيا، وهمومها وإن قلّت مشقتها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشدّ الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنهم مخصوصون بكمال الصبر والاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير، ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم، ويُلحق بالأنبياء الأمثل فالأمثل من أتباعهم؛ لقربهم منهم، وإن كانت درجتهم أقل، والسر في ذلك -والله أعلم- أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر، كان بلاؤه أشدّ؛ ولهذا ضوعف حدّ الحرّ على حدّ العبد، وقال الله تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**﴾[1]،

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠، وانظر: شرح النووي، ١٦/٢٣٨، و٣٦٥، و٣٦٦، و٥/١٤، والأبي، ٨/٣٢٦.

والقوي يُحمَّل ما حمل، والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة هان البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء، فيهوِّن عليه البلاء، وأعلى من ذلك من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه، فيسلم ويرضى ولا يعترض[1].

١٠ - التحذير من بناء المساجد على القبور، ومن إدخال القبور والصور في المساجد، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا من أعظم الوصايا التي أوصى بها رسول الله ﷺ قبل موته بخمسة أيام[2].

(١) انظر: فتح الباري، ١٣٦/٨، و١١٢/١٠، و٢٠٨/٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ١٣٦/٨، و١١٢/١٠، و٢٠٨/٣.

obeikandl.com

المبحث التاسع: وصايا النبي ﷺ عند موته

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس[1]، اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، [فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،] [فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: »[**قوموا**]، وفي رواية: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير**[2] **مما تدعونني إليه**]، **أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به**»[3]، وسكت عن الثالثة، أو قال

---

(١) يوم الخميس وما يوم الخميس؛ معناه: تفخيم أمره في الشدة والمكروه، والتعجب منه ، وفي رواية في أواخر كتاب الجهاد عند البخاري: ((ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى))، وفي رواية لمسلم: ((ثم جعلت تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه...)) انظر: فتح الباري، ١٣٢/٨، وشرح النووي على صحيح مسلم.

(٢) المعنى: دعوني من النزاع والاختلاف الذي شرعتم فيه، فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه، والفكر في ذلك خير مما أنتم فيه، أو فالذي أعانيه من كرامة الله تعالى التي أعدها لي بعد فراق الدنيا، خير مما أنا فيه من الحياة.. وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري، ١٣٤/٨، وشرح النووي.

(٣) وأجيزوا الوفد: أي أعطوهم، والجائزة العطية، وهذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود، وضيافتهم، وإكرامهم، تطييباً لنفوسهم، وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم. انظر: فتح الباري، ١٣٥/٧، وشرح النووي.

فأنسيتها»[1]، قال ابن حجر رضي الله عنها: «وأوصاهم بثلاث» أي في تلك الحالة، وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه ﷺ لم يكن أمراً متحتماً؛ لأنه لو كان مما أُمر بتبليغه لم يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلَّغه لهم لفظاً، كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياماً، وحفظوا عنه أشياء لفظاً، فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه، والله أعلم[2].

والوصية الثالثة في هذا الحديث يحتمل أن تكون الوصية بالقرآن، أو الوصية بتنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه، أو الوصية بالصلاة وما ملكت الأيمان ، أو الوصية بأن لا يتخذ قبره ﷺ وثناً يُعبد من دون الله، وقد ثبتت هذه الوصايا عنه ﷺ[3].

وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنه أنه سئل: هل أوصى رسول الله ﷺ؟... قال: «**أوصى بكتاب الله** عز وجل»[4]، والمراد بالوصية بكتاب الله: حفظه حسّاً ومعنى، فيُكرم ويُصان، ويُتّبع ما فيه: فيُعمل بأوامره،

---

(١) البخاري، برقم ٤٤٣١، و٤٤٣٢، ومسلم، برقم ١٦٣٧.

(٢) فتح الباري، ٨/١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ٨/١٣٥.

(٤) مسلم، برقم ١٦٣٤، البخاري، برقم ٢٧٤٠، و٤٤٦٠، و٥٠٢٢.

ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك[1].

وقد أوصى ﷺ بكتاب الله تعالى في مناسبات كثيرة، منها: أنه ﷺ أوصى به في خطبتيه في عرفات[2]، وفي خطبته في منى[3]، وعندما رجع من مكة في غدير خم، قال: «... **وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله في الهدى والنور، [هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة]، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي...**» ثلاث مرات[4]، وأوصى بكتاب الله تعالى عند موته ﷺ[5].

وأمر عليه الصلاة والسلام وأوصى بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى: أن تجهيز جيش أسامة كان يوم

---

(١) الفتح، ٦٧/٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم، الحديث رقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه.

(٣) انظر: صحيح مسلم، الحديث رقم ١٢٩٨، وتقدم تخريجه، ومستدرك الحاكم ١/ ٩٣ بلفظ: «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه...»، وتقدم تخريجه.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٤٠٨.

(٥) انظر: صحيح البخاري، برقم ٢٧٤٠، و٤٤٦٠، و٥٠٢٢، وصحيح مسلم، برقم ١٦٣٤، ورقم ٢٤٠٨.

السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة وقال: «**سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش...**»، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة لواء بيده، فأخذه أسامة، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، ثم اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: «**أنفذوا جيش أسامة**»، فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف، فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه، ورجع الجيش سالماً، وقد غنموا...»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة**[2]**، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحبّ الناس إليَّ بعده**»[3]، وقد كان عُمْرُ أسامة رضي الله عنه حين توفي النبي ﷺ ثمان عشرة سنة[4].

---

(١) انظر: فتح الباري، ١٥٢/٨، وسيرة ابن هشام، ٣٢٨/٤.

(٢) خليقاً: حقيقاً بها. النووي، ٢٠٥/١٥.

(٣) البخاري، ٨٦/٧، برقم ٣٧٣٠، و٤٢٥٠، و٤٤٦٨، و٤٤٦٩، و٦٦٢٧، و٧١٨٧، ومسلم، برقم ٢٤٢٦.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠٥/١٥.

وأوصى ﷺ بالصلاة وما مكلت الأيمان، فعن أنس ﷺ قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»، حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، ولا يكاد يفيض بها لسانه»[1].

وعن علي ﷺ قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[2].

وخلاصة القول: إن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ - وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك عند موته، وقد أخرجهم عمر ﷺ في بداية خلافته، أما أبو بكر فقد انشغل بحروب الردة.

٢ - إكرام الوفود، وإعطاؤهم ضيافتهم، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك.

٣ - وجوب العناية بكتاب الله حسّاً ومعنى: فيكرم، ويصان، ويتبع ما فيه، فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه وتعليمه، ونحو ذلك؛ لأن النبي ﷺ أوصى به في عدة

---

(١) أحمد بلفظه، ١١٧/٣، برقم ١٢١٦٩، وإسناده صحيح، ورواه ابن ماجه، ٩٠٠/٢، برقم ١٦٢٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١٠٩/٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٠١/٢، برقم ، ٢٦٩٨، وأحمد، برقم ٥٨٥، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١٠٩/٢.

مناسبات، فدل ذلك على أهميته أهمية بالغة مع سنة النبي ﷺ.

٤ - أهمية الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ ولهذا أوصى بها النبي ﷺ عند موته أثناء الغرغرة.

٥ - القيام بحقوق المماليك والخدم ومن كان تحت الولاية؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك، فقال: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**».

٦ - فضل أسامة بن زيد؛ حيث أمَّره النبي ﷺ على جيش عظيم فيه الكثير من المهاجرين والأنصار، وأوصى بإنفاذ جيشه[1].

٧ - فضل أبي بكر حيث أنفذ وصية رسول الله ﷺ في جيش أسامة فبعثه؛ لقوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[2].

٨- فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أنفذ وصية رسول الله ﷺ في إخراج المشركين من جزيرة العرب.

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/١٣٤ - ١٣٥ و٩/٦٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

المبحث العاشر: اختياره ﷺ الرفيق الأعلى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بُحَّةٌ[1] [شديدة] يقول: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[2]، قالت فظننته خُيِّرَ حينئذٍ[3].

وفي رواية عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر**»، قالت: فلما نزل برسول الله ﷺ[4] ورأسه على فخذي، غُشِيَ عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصرهُ إلى السقف، ثم قال: «**اللَّهم في الرفيق الأعلى**»، فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمة تكلَّم بها رسول الله ﷺ: «**اللَّهم مع الرفيق الأعلى**»[5]، وقالت رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ وهو

---

(١) البُحةُ: غِلظٌ في الصوت. انظر: شرح النووي، ٢١٩/١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٣٦، و٤٤٣٧، و٤٤٦٣، و٤٥٨٦، و٦٣٤٨، و٦٥٠٩، ومسلم، برقم ٢٤٤٤.

(٤) وفي البخاري: «فلما اشتكى وحضره القبض»، رقم ٤٤٣٧.

(٥) البخاري، برقم ٤٤٣٧، و٤٤٦٣ ومسلم، ٢٤٤٤.

مسند إليَّ ظهره يقول: «**اللَّهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**»[(١)]، وكان ﷺ متصلاً بربه، وراغباً فيما عنده، ومحبّاً للقائه، ومحبّاً لما يحبه سبحانه، ومن ذلك السواك؛ لأنه مطهرة للفم، مرضاة للربِّ، فعن عائشة ﵂ قالت: «إن من نعم اللَّه عليَّ أن رسول اللَّه ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري[(٢)]، ونحري[(٣)]، وأن اللَّه جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن [بن أبي بكر]، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول اللَّه ﷺ [إلى صدري][(٤)]، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**»، فتناولته فاشتدَّ عليه، وقلتُ: أُليّنه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**»، فلَيَّنْتُه، [وفي رواية: فقصمته، ثم مضغته[(٥)]، [وفي رواية فقضمته، ونفضته، وطيّبته[(٦)]، ثم دفعته إلى النبي ﷺ، فاستنَّ به[(٧)]، فما رأيت رسول اللَّه ﷺ استنَّ استناناً قَطُّ أحسنَ

---

(١) البخاري، برقم ٤٤٤٠، و٥٦٦٤.

(٢) سحري: هو الصدر، وهو في الأصل: الرئة وما تعلق بها. الفتح، ١٣٩/٨، والنووي، ٢١٨/١٥.

(٣) ونحري: النحر هو موضع النحر. الفتح، ١٣٩/٨.

(٤) في البخاري، برقم ٤٤٣٨.

(٥) في البخاري، برقم ٩٨٠.

(٦) طيبته: بالماء، ويحتمل أن يكون تطييبه تأكيداً للينه، الفتح، ١٣٩/٨.

(٧) أي استاك به، وأمرَّه على أسنانه.

منه][1] وبين يديه ركوة[2]، أو علبة[3] فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قُبض، ومالت يده»[4] ﷺ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي[5] وذاقنتي[6]، فلا أكره شدّة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ»[7].

وخلاصة القول: إن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ - أن الرفيق الأعلى: هم الجماعة المذكورون في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ**

---

(١) في البخاري، برقم ٤٤٣٨.

(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب به الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث، ٢/٢٦٠.

(٣) شك بعض الرواة وهو عمر، انظر: الفتح، ٨/١٤٤.

(٤) البخاري، ٢/٣٧٧، برقم ٨٩٠، وأخرجه البخاري في تسعة مواضع، انظر: صحيح البخاري مع الفتح، ٢/٣٧٧، ومسلم، برقم ٢٤٤٤.

(٥) الحاقنة: ما سفل من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح، ٨/١٣٩.

(٦) والذاقنة: ما علا من الذقن، وقيل غير ذلك، الفتح، ٨/١٣٩، والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة: هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها. الفتح، ٨/١٣٩.

(٧) البخاري، برقم ٤٤٤٦ ، ومسلم، برقم ٢٤٤٣.

obeikandi.com

النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1]، فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد بالرفيق الأعلى هم الأنبياء الساكنون أعلى عليين. ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع؛ لقوله تعالى: ﴿**وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[2].

٢ - أن النبي ﷺ اختار الرفيق الأعلى حين خُيِّر حبّاً للقاء الله تعالى، ثم حبّاً للرفيق الأعلى، وهو الذي يقول ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»[3].

٣ - فضل عائشة رضي الله عنها حيث نقلت العلم الكثير عنه ﷺ، وقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها؛ ولهذا قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري».

٤ - عناية النبي ﷺ بالسواك، حتى وهو في أشدّ سكرات الموت، وهذا يدل على تأكد استحباب السواك؛ لأنه مطهرة للفم، مرضاة للرب.

٥ - قول النبي ﷺ في سكرات الموت: «**لا إله إلاَّ الله، إن للموت سكرات**»، وهو الذي قد حقق لا إله إلا الله، يدل على تأكُّدِ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) انظر: فتح الباري، ١٣٨/٨، وشرح النووي، ٢١٩/١٥.

(٣) البخاري، برقم ٦٥٠٧، ومسلم، برقم ٢٦٨٣.

استحبابها، والعناية بها، والإكثار من قولها، وخاصة في مرض الموت؛ لأن «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**».

٦ - حرص النبي ﷺ على مرافقة الأنبياء، ودعاؤه بذلك يدل على أن المسلم ينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يجمعه بهؤلاء بعد الموت في جنات النعيم، اللَّهم اجعلنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧ - شدة الموت وسكراته العظيمة للنبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا بغيره.

obeikandl.com